ASJP Algerian Scientific Journal Platform

مجلة الونشريس للدراسات التاريخية

ISSN:2800 – 1346
EISSN: 2830-8387
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/820

مجلة الونشريس للدراسات التاريخية

المجلد: 01، العدد: 02 | ذي الحجة 1443هـ/جويلية 2022م | الصفحات: 263-280

الخلافة في فكر السيد محمد رشيد رضا.

Al-khilafah in the thought of Sayyid Mohammed Rachid Rida

حباك عمر*	عبد الحميد بشير
جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)	جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)
omarhabbak20@gmail.com	abdelhamid1713@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال
2022/06/30
تاريخ القبول
2022/07/03

الكلمات المفتاحية:
الخلافة؛ الخلافة العثمانية؛ محمد رشيد رضا؛ الإصلاح الديني والسياسي.

الملخص:

تعتبر قضية الخلافة من بين القضايا التي شغلت بال المسلمين على مر العصور، كتب حولها العلماء والفقهاء، ومن بين هؤلاء نجد الشيخ محمد رشيد رضا الذي تزامت حياته مع الحلقة الأخيرة من مسلسل الخلافة العثمانية حين أقدم مصطفى كمال أتاتورك على إلغاء الخلافة وإعلان قيام الجمهورية التركية، كانت له عدة مواقف بشأن الخلافة العثمانية قبل وبعد إلغائها ومستقبل نظام الحكم السياسي الذي ينبغي أن ينتهجه المجتمع الاسلامي.

فالشيخ محمد رشيد رضا يرى بأن مصطفى كمال قد خرج من الدين عندما ألغى الخلافة، وبقي على رأيه حتى وافقته المنية، بقي يطالب بضرورة إعادة إحياء الخلافة.

Article info

Received:
2022/06/30
Accepted:
2022/07/03

Abstract:

The issue of Al-khilafah is among the issues that occupied the minds of Muslims throughout the ages. Scholars and jurists wrote about it, and among these we find Mohammed Rachid Rida, whose life coincided with the last episode of the

* المؤلف المرسل

Ottoman Caliphate series when Mustafa Kamal Ataturk abolished the Khilatah and announced the establishment of the Turkish Republic. He had several positions regarding the Ottoman Khilafah before and after its abolition and the future of the political system that should be followed by the Islamic community. Mohammed Rachid Rida believes that Mustafa Kemal has left the religion when he abolished the Khilafah, and he remained on his opinion until his death agreed, he kept calling for the need to revive the Khilafah .

Key words: Khilafah; Ottoman Khilatah; Mohammed Rachid Reda; Religious and political reform.

مقدمة:

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، كان لزاما على المسلمين أن ينصبوا خليفة له من أجل استمرار الدولة الإسلامية، ولقد أخذ منصب الخلافة بعد ذلك وطيلة العصور الإسلامية مساحة واسعة من النقاش والكلام، واستمر ذلك حتى عصر الدولة العثمانية، خاصة حينما أقدم القائد التركي مصطفى كمال أتاتورك على إلغاء الخلافة سنة 1924م،فاهتز المسلمون جميعا لهذا الحدث، وانخرطت الحركة الاصلاحية مشرقا ومغربا في النقاش الدائر حوله بالنظر إلى المكانة الدينية والسياسية التي كانت تتمتع بها مؤسسة الخلافة في المجتمع المسلم، ومن العلماء الذين عايشوا هذه الفترة الحساسة، نجد الشيخ محمد رشيد رضا المصلح والفقيه السوري الكبير صاحب مجلة المنار، ومن هنا جاء موضوع الدراسة بعنوان: الخلافة في فكر السيد محمد رشيد رضا. وعلى ضوء ذلك نطرح الإشكالية التالية: كيف كانت مواقف السيد محمد رشيد رضا من الخلافة العثمانية؟

أولا: التعريف بالسيد محمد رشيد رضا ومفهومه للخلافة نظريا

أ– التعريف بالسيد محمد رشيد رضا:

هو محمد رشيد بن رضا بن علي بن محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد بن ملا علي خليفة، القلموني البغدادي الأصل، الحسيني النسب.[1] ولد في قرية

قرب طرابلس لعائلة تشبه عائلة محمد عبده، قروية الطابع معروفة بالعلم والورع.[2] وذلك يوم الأربعاء 27 جمادى الأولى سنة 1282 هـ، الموافق لـ: 18 أو 23 أوت 1865 في قرية القلمون، وهي قرية تقع على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان، تبعد عن طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال.[3]

تتلمذ رشيد رضا على يد كثيرين من أفذاذ العلم بالشام، لكن أكثرهم أثرا في مسيرته العلمية كان الشيخ حسن الجسر، حيث تخرج عليه في المعقول والمنقول، وأما أساتذته الذين أخذ عنهم الحديث وفقه الشافعية نجد العلامة الشيخ محمود نشابة، ومن بين العلماء الذين في أثروا التكوين العلمي لرشيد رضا الشيخ محمد القاوقيجي.[4]
لقد كان الشيخ محمد رشيد رضا شديد التأثر بالإمام محمد عبده حيث يقول الأستاذ مصطفى عبد الرزاق: "أول من ترجم للشيخ محمد عبده، وعني بنشر آثاره هو السيد رشيد رضا، وهو أول من لقب الشيخ محمد عبده بالأستاذ الإمام..." [5]

أثرت مقالات العروة الوثقى في رشيد رضا تأثيرا قويا، وكانت كما يقول السبب في توجيه حياته وجهة جديدة.[6] لقد رأى أن الصحافة المستنيرة أوسع مجال للإرشاد والإيقاظ، فصمم على إصدار مجلة "المنار" لتسد الفراغ الذي تركته "العروة الوثقى".[7] وفي سنة 1897م غادر رشيد رضا من سوريا إلى القاهرة، وفي السنة التي بعدها أنشأ مجلة المنار التي شكلت منبرا للترويج لأفكاره الإصلاحية.[8] منذ أن وصل إلى القاهرة كشف للأستاذ محمد عبده عن أهدافه الحقيقية، وهي أنه إذا كان قد جاء إلى تلك البلاد للإفادة من صحبته، فإنه قد استقر به العزم على إنشاء صحيفة إصلاحية يستمد فيها من حكمة الأستاذ الإمام فيما يكتب ويدخل بذلك ميدان الإصلاح الكبير مفيدا ومستفيدا.[9]

ب: مفهومه للخلافة نظريا: عرف الشيخ رشيد رضا الخلافة والإمامة فقال: "الخلافة والإمامة العظمى، وإمارة المؤمنين ثلاث كلمات معناها واحد وهو: رئاسة الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا". [10]

واستند رشيد رضا إلى قول العلامة الأصولي المحقق السعد التفتزاني في "متن مقاصد الطالبين في علم أصول عقائد الدين" في الفصل الرابع أي في العقائد السمعية فالإمامة هي رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقول العلامة الفقيه أبو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتابه "الأحكام السلطانية" بأن الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وكلام سائر علماء العقائد الفقهاء من جميع مذاهب أهل السنة لا يخرج عن هذا المعنى، إلا أن الإمام الرازي حسب رشيد رضا قد زاد قيدا في التعريف، حينما عرفها بأنها رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص واحد من الأشخاص... هو احتراز عن كل الأمة إذا عزلوا الإمام لفسقه، حيث قال السعد في "شرح المقاصد" بعد ذكر هذا القيد في التعريف وما علله به: كأنه أراد بكل الأمة أهل الحل والعقد واعتبر رئاستهم على من عداهم أو على من آحاد الأمة.[11]

ثانيا: مواقف السيد محمد رشيد رضا من الخلافة العثمانية

أ– موقفه من الخلافة العثمانية في آخر عهدها:

1– موقفه من السلطان عبد الحميد الثاني:

طيلة النصف الأول من حياة رشيد رضا كانت الدولة العثمانية قائمة وسلطانها يدعى بأنه الخليفة، لم يكن رشيد رضا يعارض ذلك، بل كان يعتقد بأنها ضرورية للعرب والمسلمين، لأنها تملك القوة الكافية لحمايتهم من الغزو الأجنبي، كما كان يرفض رفضا قاطعا الفكرة الناشئة الرامية إلى التخلص من الخلافة العثمانية، وإقامة خلافة جديدة معتبرا إياها مؤامرة أجنبية تخدم مصالح الدول الغربية. [12]

عمل الشيخ في هذه المرحلة على التنويه والإشادة بدور العرب في خدمة الإسلام ونشره وإبراز إسهاماتهم العلمية ودورهم الحضاري وقدرتهم على القيادة، لقد وظف رشيد رضا قراءته الجيدة للتاريخ في خدمة أفكاره ومطالبه السياسية، من خلال تبيان خوف الأوروبيين من الوحدة العربية، وتأكيدا على أهمية العرب يقول الشيخ: "والعرب عز الإسلام وبيضته وبلادهم منبع حكمته، ومنبعث أشعته، فيها أسس بنيانه، وفيها تقام أركانه، ومهما سلكت الأمة العربية وبلادها فإن النفوس تظل مطمئنة راجية أن يعتز بها الإسلام في يوم من الأيام".[13]

ويبدو أن الشيخ كان يقدس العرب نظرا إلى المكانة التي خصهم بها الله سبحانه وتعالى حيث أنزل عليهم القرآن عربيا، وأنهم الأجدر بفهم الدين وحقيقته، وأن أزهى عصور التاريخ الإسلامي كانت لما تولى القيادة العرب. كما كان الشيخ يستند على الأحاديث النبوية الممجدة للعرب من قوله صلى الله عليه وسلم: " أحب العرب لثلاث، لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي" وختم مقالته بالدعاء للعرب بقوله: " اللهم أعز الاسلام وأعز العرب، اللهم وأعز من أعز العرب، وأذل من أذل العرب إلى يوم القيامة".[14]

نعتقد بأنه رغم إشادته بالعرب وحضارتهم، إلا أن رشيد رضا لم يتوسع في ذلك كثيرا خوفا من أن يفهم كلامه بأنه طعن في خلافة العثمانيين، فهل هذا مبرر على اعترافه بأحقيتهم في الخلافة المسلمين وقيادتهم.

يرى الشيخ رشيد رضا بأن خلافة العثمانيين في خلافة تغلب وضرورة، لذلك ظل يدعو إلى أن الجنسية العثمانية هي الأنسب لجمع كافة عناصر الدولة.[15]

وقد ربط فكرة استبعاد انفصال العرب عن الدولة العثمانية وتمسكهم بعاملين أساسيين أولهما دور الاسلام في إزالة العصبية الجنسية لدى العرب، وثانيهما خوف العرب من السياسة الاستعمارية لأوروبا وما يترتب عنها من سيطرة واحتلال.[16]

نلاحظ أن مطالب الشيخ رشيد رضا في مرحلة السلطان عبد الحميد الثاني تمحورت حول المطالبة بمزيد من الاهتمام بالعنصر العربي، دون العمل على المساس بالخلافة والوحدة لأن ذلك سيفتح الباب أمام السيطرة المطلقة للدول الاستعمارية على المسلمين، ولأن ذلك راجع أيضا إلى اهتمام السلطان بفكرة الجامعة الإسلامية واعتماده على العنصر العربي لتجسيدها وتحقيقها في مجابهة الغزو الاستعماري.

2– موقفه من الاتحاديين:

تعتبر فترة حكم الاتحاديين من أهم الفترات في تفكير الشيخ رشيد رضا السياسي، حيث تراجعت فكرة الجامعة الإسلامية وانكشفت سياسة الاتحاديين المتطرفة، ومع ذلك فإن الشيخ ظل مركزا على التآخي والتعاون بين العنصرين العربي والتركي، مع إبراز دور العنصر العربي باعتباره الشريك الحقيقي للأتراك في الدولة.[17] لم يفكر رشيد رضا لحظة في التخلص من الدولة العثمانية رغم الاستبداد والظلم الذي مارسه الاتحاديون، ونفور العرب من سياستهم.[18]

وكان من الممكن حسبه القبول بالخلافة العثمانية على أنها خلافة بالضرورة، مع أنها لم تكن خلافة أصيلة، لأن العثمانيين كانوا يفتقرون إلى أحد الشروط الجوهرية للإجتهاد، وهو معرفة اللغة العربية، لذلك كانوا غير مؤهلين للاجتهاد.[19] وعليه فإن سياسة الاتحاديين القاسية، وعدم قدرة الدولة العثمانية على الدفاع عن البلدان العربية خاصة بعد احتلال طرابلس من طرف إيطاليا وانفصال دول البلقان واستقلالها قد أدت إلى استحالة التفاهم بين العرب والأتراك، ولذلك كان على المناضلين والأحرار مواصلة نشاطهم بكل

الوسائل، وقد كان الشيخ رشيد رضا واحدا منهم، فأسس في هذا الإطار جمعية الجامعة العربية.[20]

كان السبب الذي دفع رشيد رضا إلى تأسيس جمعية الجامعة العربية هو سياسة الاتحاديين الرامية إلى تريك العرب وممارسة التعصب الجنسي ضدهم، إضافة إلى خوفه على مصير العرب ومستقبلهم أمام ضعف العثمانيين خاصة في خضم ح ع 1، وكان يهدف من وراء ذلك إلى توحيد الامراء العرب، حيث قاده شعوره القومي إلى تأييد الثورة العربية التي قادها الشريف حسين من أجل تأسيس دولة عربية مستقلة تدافع عن الاسلام في حال سقوط الدولة العثمانية، لكنه انقلب عليه لما تأكد من تآمره مع بريطانيا، وناصر أعداءه مثل عبد العزيز بن سعود.[21]

يمكن القول بأن رشيد رضا لم يخرج عن الدولة العثمانية وضل مؤمنا بأنها تمثل الخلافة الإسلامية، وما مناداته بالوحدة العربية ودعمه لثورتها إلا بسبب خوفه من ضياع الخلافة العثمانية وسقوط الدولة بعد ح ع 1.

3- تأييده للكماليين:

شكلت الحرب العالمية الأولى كارثة حقيقة على العرب والمسلمين، بسبب تراجع الدولة العثمانية وتوقيعها لمعاهدة "سيفر"، والتي بموجبها تخلت عن جميع المناطق التابعة لها في أوروبا أو في البلاد العربية التي تعرضت للانتداب، غير أن بروز مصطفى كمال الذي تولى زمام المبادرة وأدى دورا كبيرا في تحرير تركيا من الاحتلال الأجنبي من خلال طرد اليونايين، وانسحاب الفرنسين من كليكية، والايطاليين من جنوب الأناضول، والبريطانيين من الدردنيل، وتوقيع ذلك بإبرام معاهدة لوزان 1923م التي ضمنت لتركيا استرجاع جميع أراضيها، كل ذلك أدى إلى انتزاع مصطفى كمال لشرعية تمثيل المسلمين، حيث ذكر المسلمين بالعصر الذهبي للدولة العثمانية.[22]

لقد اعجب رشيد رضا بالدور الكبير الذي لعبه الكماليون في تحرير تركيا من الاحتلال نظرا إلى العامل الديني الذي يدفع المسلمين إلى التكاتف والوحدة، ولعل من مظاهر تأييده للكماليين هو وصفه لأعمالهم بالبطولية ومساندته لهم في صراعهم مع حكومة الاستانة، وانتقاده لفتاوى شيخ الاسلام التي كانت تكفر الكماليين وتدعو الناس للثورة ضدهم.[23]

ومن جهة أخرى افتخر رشيد رضا بمصطفى كمال ودهائه الدبلوماسي والسياسي في مفاوضات لوزان، واعتبره خادما للإسلام ضد العصبية الطورانية. [24]

4– موقفه من إلغاء الخلافة العثمانية:

رغم أن الكماليين أدوا دورا محوريا في تخليص تركيا من قبضة الاحتلال الذي فرضته الدول المنتصرة في ح ع 1، إلا أنهم انخرطوا في تجسيد هدف آخر وهو إجراء تغييرات جذرية على الأسس والمفاهيم التي كان يقوم عليها المجتمع العثماني ونقله إلى مجتمع حديث بنظرة غربية، أثار هذا الأمر رد فعل الشيخ رشيد رضا بشكل كبير، حيث بدأت معالم الخطة تتبلور بصفة جلية عندما صدر قرار شهر نوفمبر 1922م، الذي يقضي بفصل السلطنة عن الخلافة وإعلان الجمهورية، حيث تبقى الخلافة منفصلة عن الدولة. وخلال الفترة الممتدة بين 1922 و 1924م اتخذ مصطفى كمال عدة إجراءات وخطوات تمهيدية من أجل تهيئة الرأي العام لإلغاء الخلافة الاسلامية.[25]

عمل الشيخ رشيد رضا على إرغام مصطفى كمال وجره للتراجع عن قرار إلغاء الخلافة حيث بعث إليه برسالة يطلب منه فيها التأني بشأن موضوع الخلافة، موضحا له أن الدعم العربي والاسلامي له يرتبط أساسا بمبدأ الخلافة، واقترح عليه الدعوة لعقد مؤتمر إسلامي يضم العلماء والمفكرين من أجل وضع نظام جديد للخلافة.[26]

اقتنع رشيد رضا بأنه لا فرق بين الاتحاديين والكماليين من حيث الأهداف والوسائل.[27] واعتبر حكومة مصطفى كمال حكومة لا دينية هدفها الاساسي هو تحييد الشعب التركي عن الاسلام.[28] وبالتالي فإن كل أعماله وبطولاته لم تكن سوى مسرحية أعدها البريطانيون ونفذها الكماليون.[29]

نلاحظ هنا أن ما ميز موقف رشيد رضا من الكماليين هو نفسه مع الاتحاديين الذين أيدهم في البداية ثم انقلب عليهم في النهاية بعدما رأى منهم الانحراف والتعصب ومحاربة الاسلام، وأن الفكر الذي تبناه مصطفى كمال هو تطبيق لسياسة الاتحاديين الرامية إلى الانسلاخ من الملة الاسلامية.

ثالثا: جهود وإسهامات الشيخ محمد رشيد رضا لإحياء الخلافة

أ– رده على كتاب الإسلام وأصول الحكم لمؤلفه علي عبد الرازق:

أحدث كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق الصادر في القاهرة سنة 1925م جدلا فكريا كبيرا لم تشهد مثله الحياة الأدبية والدينية والسياسية، ولم يهدأ إلا بعد سحب شهادة العالمية من كاتبه وعزله من الوظيف.[30]

وقد أكد الشيخ علي عبد الرزاق في كتابه أن الخلافة ليست أصلا دينيا في الإسلام، نافيا وجود أدلة من القرآن والسنة تثبت وجوبها شرعا، ومشددا على أن الإسلام لم يقدم شكلا محددا للحكومة، وعلى أن الحكم الذي قام في العالم الإسلامي بعد العهد النبوي، هو مجرد حكم مدني سياسي لا صلة له بالدين.[31]

إعتبر رشيد رضا من خلال مقال له في مجلة المنار أن هذا الكتاب هو حلقة في سلسلة محاولات القوى الإستعمارية لإضعاف الإسلام وضرب المقومات السياسية لأمته، حتى تسهل السيطرة عليها واستعمارها، متهما علي عبد الرزاق بقيادة مشروع إتحادي

يستهدف إلى تحويل مصر إلى دولة لا دينية تفصل بين الدين والدولة على النمط التركي، كما أكد رشيد رضا أن أحد الأسباب الرئيسية لغضبه على هذا الكتاب هو أنه يمثل عنصرا معاكسا لجهوده هو شخصيا للدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي لإحياء الخلافة، حيث لقب رشيد الرضا الكتاب بالبدعة الشيطانية.[32]

كما دعا رشيد رضا علماء وشيوخ الأزهر إلى ضرورة الرد على صاحب الكتاب قائلا : "أول ما يقال في وصف هذا الكتاب لا في الرد عليه أنه هدم لحكم الإسلام وشرعه من أساسه وتفريق لجماعته وإباحة مطلقة لعصيان الله ورسوله في جميع الأحكام الشرعية الدنيوية....إنه لا يجوز لمشيخة الأزهر أن تسكت عنه، فإن هذا المؤلف الجديد رجل منهم، فيجب عليهم أن يعلنوا حكم الإسلام في كتابه، لئلا يقول هو و أنصاره: إن سكوتهم عنهم إجازة له أو عجز عن الرد عليه".[33]

وأخيرا نجح محمد رشيد رضا بفضل المنار وغيره في إقناع شيوخ الأزهر بالنظر إلى عمل علي عبد الرزاق وآرائه كعمل مشين يستوجب الحرمان من الحقوق المدنية والإخراج من زمرة العلماء. وهو ما تم فعلا.[34]

ب– دعوته لعقد مؤتمر إسلامي للخلافة:

بعد أن ألغى الكماليون الخلافة العثمانية، ثار في سائر أرجاء العالم الإسلامي نقاش واسع حول مسألة الخلافة وما ينبغي بشأنها، وفي هذا المناخ، ارتفع صوت رشيد رضا مجددا اقتراحا سابقا له بضرورة عقد مؤتمر إسلامي للتداول في مسألة الخلافة وضرورة إحيائها، وقد اعتبر رضا أن ثمة هدفين رئيسيين مطلوبين من هذا المؤتمر، أولهما "وضع قواعد حكومة إسلامية مدنية تكفل الجمع بين السياسة والفضيلة وتؤكد علو التشريع الإسلامي على جميع ما اشترعه البشر"، وثانيهما "اختيار خليفة وإمام جديد للمسلمين"، وفي ذلك يقول: "فالمطلوب الآن إيجاد السلك ووضع النظام وأن يكون

بالتشاور بين العلماء المسلمين الدينيين والسياسيين، والإداريين والعسكريين، والماليين والحاذقين لسائر الفنون، التي عليها مدار العمران وعزة الأمم وكرامتها، ولا يكون هذا إلا بعقد مؤتمر إسلامي عام". [35]

وصدرت مجلة باسم المؤتمر الإسلامي، حيث ظهر العدد الأول منها في شهر ربيع الأول سنة 1343هـ (أكتوبر 1924م) ونشر في صدره مقال للسيد محمد رشيد رضا أبرز فيه أهمية هذا المؤتمر، لأنه أول مؤتمر إسلامي عام يشترك فيه علماء الدين والدنيا من كل الأمم الإسلامية وبيّن أن المطلوب في هذا المؤتمر هو وضع قواعد للحكومة الإسلامية المدنية التي يظهر فيها علو التشريع الإسلامي، ووضع قواعد للتربية والتعليم تجمع بين هداية الدين ومصالح الدنيا واختيار خليفة وإمام للمسلمين. [36]

ولكن هذا المؤتمر الذي حدد لانعقاده شهر مارس 1925م، أُجل مرة بعد مرة، ولم يجتمع إلا في ماي 1926م، ثم إن اجتماعه من بعد كان اجتماعا فاشلا لم يسفر عن شيء. والسبب هو أوضاع العالم الاسلامي المتردية من جهة، ومن جهة أخرى رغبة كل ملك إسلامي في ترشيح نفسه للخلافة.[37]

انعقد المؤتمر آخر الأمر – بعد أن أُجل مرتين قبل ذلك – في غرة ذي القعدة 1344هـ (13 ماي سنة 1926م)، ودامت مناقشاته لأربع جلسات، وقد حضره أربعة وثلاثون عضوا –على رواية "المقطم"– أو ثلاثون عضوا فقط –على رواية "السياسة"–، وبعض هؤلاء قد حضر بشخصه لا يمثل هيئة أو حكومة، وبعضهم حضر للاستماع دون المشاركة أو إبداء الرأي مثل مندوب إيران. وفشل المؤتمر، إذ انتهى إلى تقرير أن "الخلافة الشرعية المستجمعة لشروطها المقررة في كتب الشريعة الغراء التي من أهمها الدفاع عن حوزة الدين في جميع بلاد المسلمين وتنفيذ أحكام الشريعة الغراء فيها، لا يمكن تحقيقها بالنسبة للحالة التي عليها المسلمون الآن"، ثم أراد أن يستر هذا الفشل،

فقرر "أن تبقى هيئة المجلس الإداري لمؤتمر الخلافة بمصر، على أن ينشئ له شُعبا في البلاد الإسلامية المختلفة تكون على اتصال بها لعقد مؤتمرات متوالية فيها حسب الحاجة". وبعث المؤتمر بقراره هذا إلى (مؤتمر مكة) الذي أعلن السلطان ابن سعود عقده لوضع نظام للحكم في البلاد المقدسة، راجيا له التوفيق.

وقد كان هذا القرار السلبي، وهذا الفشل الذي انتهى إليه مؤتمر الخلافة، هو الوسيلة الوحيدة للتخلص من المأزق الذي وقع فيه الداعون إلى المؤتمر في مصر ممن يعملون لحساب الملك فؤاد، بعد الذي شاع من عزم مندوبي الدول الإسلامية على إحباط مسعاها، بأن يدعو كل منهم لملكه أو أميره.

وظلت الخلافة بعد ذلك موضع تنافس ملوك المسلمين وأمرائهم، مما كان سببا في فشل كل الجهود التي بذلت لإحيائها وإعادة منصبها، حتى لقد اضطر الزعيم الهندي المسلم شوكت علي إلى نفي ما أشيع من أنه سيدعو في مؤتمر القدس الإسلامي سنة 1931م إلى إعلان عبد المجيد –آخر خلفاء العثمانيين– خليفة للمسلمين ذا سلطة روحية فقط، وذلك حين تبيّن معارضة كثير من المسلمين في ذلك، وبعد أن عارضته فيه مجلة (نور الإسلام) التي تمثل الأزهر.[38]

يبدو أن نهاية مؤتمر الخلافة كانت غامضة ولم تؤد إلى نتائج ملموسة ومواقف واضحة بعد ما كثرت النزاعات بين أعضائه وتعددت اتجاهاتهم، فمنهم من بقي متمسكا بخلافة عبد المجيد (1922–1924) وطالب بإرجاعه إلى منصب الخلافة، وبعضهم الآخر نادى بخلافة الشريف حسين وطرف ثالث عمل على تحقيق بيعة الملك فؤاد لا سيما العلماء المصريين.

ج– نظرته لمستقبل الخلافة وشروطها:

بالتوازي مع مقاومة المنار العنيفة لأفكار علي عبد الرازق الواردة في كتابه "الإسلام وأصول الحكم"، عمل رشيد رضا بهمة من أجل إحياء الخلافة من جديد، ومن هنا كان الرجل عضوا نشطا في مجلس إدارة اللجنة المنظمة لمؤتمر الخلافة، وفي اللجان الفرعية للمؤتمر، حيث قدّم مذكرة إلى مؤتمر الخلافة، عبّر فيها عن أفكاره واقتراحاته إزاءها، ذاكرا الشروط والضوابط الواجب توفرها في نظام الخلافة الإسلامية المناسب لهذا العصر، والتي يجب توفرها في هذا النظام، وهي على النحو التالي:

أولاً: ألاّ يستطيع الخليفة أن يستبد بالأمر إذا زينت له نفسه ذلك.

ثانيا: أن يكون مستجمعًا للشروط الشرعية حتى لا يكون لأحد زعماء المسلمين عذر في رفض بيعته، أو استحلال عصيانه، وذلك بإنشاء مدرسة يتخرج فيها الخلفاء والمجتهدون المستجمعون لصفات أهل الحل والعقد شرعًا ولشروط القضاء الشرعي.

ثالثا: أن تبنى الأحكام ونظم الدولة في مملكة الخلافة على التشريع الإسلامي بنصوص الكتاب والسنة القطعية الجامعة بين العدل والرحمة والمساواة الصحيحة، وبالاجتهاد في غير القطعي الذي مداره على درء المفاسد، ومراعاة المصالح، واليسر ورفع الحرج، وإباحة الضرورات للمحظورات، مع تقديرها بقدرها، وغير ذلك من القواعد العامة الصالحة لكل زمان ومكان[39].

رابعا: أن يكتفي من الشعوب الإسلامية غير الحرة المستقلة في أمرها، ولا القادرة على إتباع سلطان الخلافة في أحكامها، بأن تكون مرتبطة بمقام الخلافة في شؤونها الدينية كدعاية الإسلام الدينية المحضة، والدفاع عنه، وصيانته من الإلحاد والتعطيل، ومن البدع والخرافات، وفي منهاج التعليم الديني، وخطب الجمعة والأعياد، وغير ذلك من التعاون على البر والتقوى وأعمال الخير البريئة من السياسة وشبهاتها.

خامسا: اتقاء كل ما يُعد عدوانًا على حكومات هذه الشعوب أو حجة صحيحة لها تحملها على اضطهاد رعيتها، وقطع الصلة الروحية المعنوية بينها وبين إمام دينها الأعظم. 40

الخلافة الأصلية حسب رشيد رضا ليست موجودة اليوم، لذلك وجب إعادة بنائها، وهذا لن يتم إلي بمرحلتين: الأولى إقامة خلافة الضرورة، والثانية إقامة الإجتهاد الصحيحة عندما يحين الوقت، ولتحقيق ذلك يجب إقامة علاقة حسنة بين العرب والأتراك، فالعرب يمتلكون اللغة العربية والمعرفة الحقيقية للإسلام، والأتراك يمتلكون السياسة والقدرة على القيادة، ومصطفى كمال رجل عظيم، لكنه لا يعرف شيئا عن الإسلام، ولو عرف الإسلام على حقيقته لكان هو الرجل المنشود. أما الشرط الأخر فهو أن يعمل العلماء والفقهاء(أهل الحل والعقد) على إقامة الخلافة، لتحقيق مصالح الأمة العامة والخاصة، لكن أين السبيل للعثور على هؤلاء، والأمة الإسلامية خاضعة للدول الأوروبية [41]

إذا تحقق هذان الشرطان فيمكن إقامة خلافة الضرورة المؤقتة بعدة طرق، كأن يبايع حكام الجزيرة العربية خليفة بينهم، أو تأخذ مصر المبادرة في تعيين الخليفة، أو يقتنع الأتراك بضرورة التخلى عن خلافتهم لخلافة أكثر جدية، أما مركز الخلافة في نظر رشيد رضا فلا يمكن أن يكون في الحجاز الواقعة تحت الحكم الأجنبي، ولا في تركيا بسبب موقف الحكومة الجديدة من الخليفة ويمكن أن يكون في الموصل التى تتوسط الأتراك والعرب والأكراد.[42]

أما الخطوة الأخرى فهي العمل على إنشاء مدرسة يتخرج منها المرشحون للإمامة العظمى، والإجتهاد الشرعي، فيتكفل بهذه المهمة حزب الإصلاح الإسلامي فيكون الخليفة الحق الذي سيبنى من جديد ذالك الحكم الإسلامي الأصيل.[43]

الخاتمة:

من خلال ما تم التطرق إليه في قضية الخلافة وآراء ومواقف الشيخ محمد رشيد رضا، توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

– شهدت الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى حدثا جللا في ظل تقهقرها وضعفها حين أقدم مصطفى كمال أتاتورك على إلغاء منصب الخلافة، ما فتح المجال أمام النقاش والجدال بين العلماء والفقهاء ورجال السياسة من أجل شغل منصب الخليفة. ومن بين هؤلاء نجد الشيخ محمد رشيد رضا.

– يعتبر السيد محمد رشيد رضا من أهم رموز رجالات الاصلاح في العالم الإسلامي، سطع نجمه في المشرق بفضل إسهاماته الكبيرة في التفسير والسياسة والأصول والفقه وغير ذلك.

– يرى السيد محمد رشيد رضا من خلال تعريفه النظري للخلافة، بأنها مرتبطة أساسا بتسيير شؤون المسلمين الدينية والدنيوية استنادا إلى القرآن والسنة، وهو ما ذهب إليه فقهاء المسلمين وعلمائهم كالماوردي.

– يرى الشيخ محمد رشيد رضا بأن الخلافة العثمانية القائمة هي خلافة مشروعة وجب طاعتها وإعلان الولاء لها، كونها جامعة للمسلمين وموحدة لكلمتهم في مواجهة الخطر الصليبي الغربي، رغم إقراره بضعفها وتهاونها الكبير في قضية الاسلام في سنواتها الأخيرة.

– تميز موقف السيد رشيد رضا من مصطفى كمال أتاتورك بالتقلب فبعد أن كان يمجده في أعقاب انتصاراته على الدول الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى، عاد ليندد بفعله الشنيع بعد قرار إلغائه للخلافة سنة 1924م، واعتبرا ذلك جريمة في حق المسلمين.

– يرى محمد رشيد رضا بأن مستقبل نظلم الحكم السياسي للمسلمين لا يكون خارج فكرة الخلافة، حيث بقي وفيا لمنصب الخليفة، كما عمل جاهدا على إحياءه من خلال

دعوته إلى عقد مؤتمرات إسلامية لذلك، واعتبر الخلافة وحدها الكفيلة بجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم في مواجهة الاستعمار الأوروبي.

الهوامش:

[1] – خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 06، ط05، د.د.ن، 1980م، ص 361.

[2] – ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة (1798–1939م)، ، دار النهار للنشر، بيروت، د.ت، ص270.

[3] – مجلة المنار: مج 35،ج2، ص 153.

[4] – محمود بطل محمد، "بواعث التجديد التربوي ومرتكزاته لدى الشيخ رشيد رضا"، مجلة أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد 40 جامعة الأزهر، مصر، ص 455.

[5]– محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ج1، ط1، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت 1995م ص 236.

[6] – تشارلز آدمس، الإسلام والتجديد في مصر، تر عباس محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015م، ص 169

[7] – البيومي محمد رجب، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ج1، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط1، 1995م، ص243.

[8] – حوراني، مرجع سابق، ص 272

[9] – العدوي أحمد إبراهيم، رشيد رضا الإمام المجاهد، سلسلة أعلام العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.، ص 180

[10] – تامر محمد محمود متولي: منهج الشيخ رشيد رضا في العقيدة، ط 1، دار ماجد عسيري، المملكة العربية السعودية، 1425هـ/ 2004م، ص 783–784.

[11] – محمد رشيد رضا، الخلافة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر،2013، ص 14.

[12] – حوراني، مرجع سابق، ص 288

[13] – محمد رشيد رضا، "الوحدة العربية"،المنار، مج 3، ج 6، غرة محرم 1318 هـ الموافق لـ 30 أفريل 1900م، ص 122.

[14] – محمد رشيد رضا، "فتاوى المنار"، المنار، مج 16، ج 12، 29 ذي الحجة 1331 هـ – الموافق لـ 29 نوفمبر 1913م ص 900–902.

[15] – محمد رشيد رضا، "مدنية العرب"، المنار، مج 03، ج 13، 11 ربيع الأول 1318 هـ- الموافق لـ 08 يوليو 1900م، ص ص 290-291.

[16] – مصدر نفسه، ص 41.

[17] – بن جلول هزرشي، "الشيخ محمد رشيد رضا والوحدة العربية"، أنسنة للبحوث والدراسات، ع 09، جامعة زيان عاشور الجلفة، جوان 2014م، ص 237.

[18] – محمد رشيد ضا، "المسألة العربية"، المنار، مج 20، ج1، 1 شوال 1335هـ – الموافق لـ 30 يوليو 1917م ص 44-45.

[19] – حوراني، مرجع سابق، ص 288.

[20] – هزرشي، مقال سابق، ص 237-238.

[21] – مرجع نفسه، ص 247.

[22] – وجيه كوثراني، الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 1996م ص 06.

[23] – محمد رشيد رضا، "الانقلاب التركي الجديد"، المنار، مج 23، ج9، 30 ربيع الأول 1341 هـ – الموافق لـ 19 نوفمبر 1922م، ص712-713.

[24] – محمد رشيد رضا، مؤتمر الصلح بين الترك وأوروبة في لوزان، المنار، مج 24، ج2، 30 جمادى الآخرة 1341 هـ – الموافق لـ 16 فيفري 1923م، ص 145-146.

[25] – سليمان بن صالح الخراشي، كيف سقطت الدولة العثمانية، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، الرياض، الملكة العربية السعودية، 1999م، ص 84.

[26]– محمد رشيد رضا، "الانقلاب الديني والسياسي والاجتماعي في الجمهورية التركية"، المنار، مج 25، ج 4، القاهرة، 30 رمضان 1342 هـ – الموافق لـ 04 ماي 1924م، ص 273-299.

[27]– رضا، الانقلاب...،مصدر سابق، ص 280.

[28]– محمد رشيد رضا، "أنباء عن العالم الاسلامي"، المنار، مج 28، ج 8، 30 ربيع الآخر 1346 هـ – الموافق لـ 26 أكتوبر 1927م، ص 635.

[29]– محمد رشيد رضا، "الحقائق الجلية في المسألة العربية"، المنار، مج 22، ج 6، 29 رمضان 1339 هـ- الموافق لـ 06 يونيو 1921م، ص 474.

[30] – مراد قبال، "قضايا الإصلاح في مصر والجزائر من منظور مجلتي المنار (1898-1935م) والشهاب (1929-1939م) –دراسة مقارنة-" ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، 2017-2018م، ص 683.

[31] – مرجع نفسه، ص 684.

[32] – محمد رشيد رضا، "الإسلام وأصول الحكم (بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام بل دعوة جديدة إلى نسف بنائها وتضليل أبنائها)"، المنار، المجلد 26، الجزء 2، ذو القعدة 1343هـ- يونيه 1925م، ص 100.

[33] – رضا، الإسلام ...، مصدر سابق، ص 104

[34] – قبال، مرجع نفسه، ص 692-693.

[35] – محمد رشيد رضا، "مؤتمر الخلافة"، المنار، مج 25، ج 7، ربيع الأول 1343هـ-أكتوبر 1924م، ص 532-533.

[36] – قبال، مرجع سابق، ص 696.

[37] – مرجع نفسه، ص 699.

[38] – مرجع نفسه، ص 998- 699.

[39] – محمد رشيد رضا، "مذكرة مقدمة إلى مؤتمر الخلافة العام في مصر القاهرة"، مجلة المنار، مج 27، ج 02، شوال 1344هـ-ماي 1926م، ص 143.

[40] – مصدر نفسه، ص 144.

[41]– حوراني، مرجع سابق، ص 289-290.

[42]– مرجع نفسه، ص 291.

[43]– مرجع نفسه، ص 292.